

دفع عن الظلمة

كلنا يتغنى بالنور . أمّا الظلمة فليس من يذكرها بغير
السوء . فهي عنوان الجهل والضلال ، ومصدر المخاوف
والمعائر ، ومسرح المخازي والشرور ، والخضمّ الهائل الذي
لا يقتحمه شراع ولا يضرب فيه مجذاف .

في الظلمة تتعطلّ العين . فلا نفع منها هادياً للرجل .
ولا نفع من الرجل قائداً للجسد . فقد تفوده في رفّة جفن
إلى حيث هلاكها وهلاكه . أمّا اليد فألة لا يُركن إليها ولا
يوثمن خطرها . فقد تقبض في الظلام على عقرب أو صلّ إذ
هي تفتش عن بصلة أو عن حبل .

وفي الظلمة تختلّ ، بل تنعدم المقاييس جميعها . فلا
طول ولا عرض ، ولا عمق ولا علو ، ولا شرق ولا غرب .
بل هنالك امتداد بغير بداية أو نهاية . وفي هذا الامتداد
اللامتناهي لا فرق بين قريب وبعيد ، وكبير وصغير ، وجميل
وقبيح . مثلما لا فرق بين أبيض وأحمر ، وأصفر وأخضر .
فالكلّ سوادٌ حالك . بل الأصحّ أنّه بغير لون . فالظلام ،
وإن نعتناه بالسواد ، هو غير السواد الذي نبصره في النهار .